التلازم الضروري بين المكان والزمان .. أو بين التاريخ والجغرافيا

الدكتور لعموري عليش – المدرسة العليا للأساتذة – الجزائر

من البديهي، أن الحديث عن التاريخ هو بالضرورة الحديث عن المكان والزمان، إذ هما يمثلان وجهان لعملة واحدة، فالماضي، وهو أحد أبعاد الزمان، هو موضوع التاريخ، بل غالبا ما يتبادر إلينا " الماضي " حين نذكر التاريخ و تلك نظرة أكثر المحدثين.

يقول "هنري جونسون ، عالم أمريكي": إن التاريخ بمعناه الواسع هو كل شيء حدث في الماضي، إنه الماضي نفسه مهما يكن هذا الماضي " (إبراهيم العاتي، 1993، ص، 93.) وكذلك المكان هو بعد من أبعاد التاريخ فلا يمكن الحديث عن التاريخ كأحداث ووقائع زمنية، دون الحديث عن التاريخ كوقائع

وحوادث وقعت في مكان معين أو أماكن معينة، لذلك المكان والزمان يمثلان جوهر التاريخ.وللإيضاح أكثر نعرض الموضوع في النقاط الآتية:

الزمان و المكان في التراث :

إن فكرتي الزمان والمكان في التراث الإنساني العربي ا بالخصوص بارزتين في النصوص، فهاهو المعري" 363هـ -449هـ" في رسالة الغفران يقول في أحد نصوصها عن الزمان والمكان مايلي : " الزمان شيء أقل جزء منه يشتمل على جميع المدركات ، و هو في ذلك ضد المكان ، لأن أقل جزء منه لا يمكن أن يشتمل على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شيء كما تشتمل عليه الظروف فأما الكون فلا بد من تشبثه بما قل أو كثر " (المعري ، 1963، ص ، 426.)

و يقول المعري في المكان و الزمان شعرا :

مكان و دهر أحرزا كل مدرك ** ومالهما لون يحس ولا حجم ،

(المعري، لزوم ما لا يلزم، ج، 2، ص، 378) و قوله :

مناكب ساعاتي ركبت فأبتغى ** لباثا و سير الدهر لا يتلبث

نهـــار وليل عوقبا أن فيهما ** كأني بخيـــــطي باطل أتشبث

أظن زماني (كونه) و (فساده) ** وليدا بترب الأرض يلهو و يعبث

(المعري، لزوم ما لا يلزم، ج، 1، ص، 246)

ونجد الرازي الطبيب" ولد حوالي، 251هـ وتوفى حوالي ، 313هـ " يتكلم في الزمان، فاعتبره النور الذي يهدي الفكر الإنساني إلى مدارك الحقيقة. يقول : " إن قد سألت مثل هؤلاء الناس وقالوا لي عقولنا تدلنا على أنه يوجد خارج هذا العالم امتداد يحيط بالعالم ، ونعرف أنه لوأرتفع الفلك ولم يوجد دورانه كان شيء يمر بنا دائما، وهو الزمان " (الرازي ، الرسائل ، ج ، 1 ، ص ، 264) أما ابن سينا " 980م ت 1037م) نراه يجسد الزمان في الوجود الطبيعي والإنساني، و أنه محور الأحداث والوقائع فيقول : " لا يتصور الزمان إلا مع الحركة، ومتى لم يحس بحركة لم يحس بزمان مثل ما قيل في قصة أصحاب الكهف " (ابن سينا ، النجاة ، ص ، 115.) ويوجد في تراثنا نصوص كثيرة عن الزمان و المكان لا يسع المقال إلى ذكرها جميعا ، ولكن ذكرنا هذه النصوص السابقة لإثبات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفعل المعرفي والإشارة إليه من طرف علمائنا، لأهمية المكان والزمان في بناء المعرفة بصفة عامة، والمعرفة التاريخية بصفة خاصة. فقد ذكر علماء العرب أن التاريخ هو الزمان والمكان ، وأنهما أكثر حيوية وخصوبة في التفعيل الحركي لوعي الإنسان في بناءاته الإنسوية فالإنسان هو الوحدة التي يدور حولها التاريخ لذلك قال السخاوي(ت 902هـ) : " التاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان و الزمان"(السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، 1349هـ ،ص، 7)

المكان و الزمان و السؤال المنهجي :

لهذا كان من غير الممكن تصور الفعل الإنساني وقوع حوادث من أي نوع كانت من دون أن يلتزم السؤال المنهجي الذي يحدد طبيعة وجودها، ويتم هذا بطرحه لظرفين زمانيين متى ؟ وأين ؟ فارتبط علم التاريخ إجابة عن السؤال الأول وارتبطت الجغرافيا إجابة عن السؤال الثاني ، وقد تنبه في تاريخ الفكر العربي الإسلامي الوسيط جماعة إخوان الصفا إلى هذا النهج المعرفي إذ درسوا في إحدى رسائلهم الشهيرة وهي رسالة الصنائع العلمية في كمية أقسامها وكيفية مراتبها وإيضاح طرائقها ومذاهبها والغرض منها تعديد أجناس العلوم وأنواع الحكم وبيان أعراضها و حقائقها والاهتداء لطلب العلوم والحكم والتوقيت عليها وكيفية الطريق إليها وبيان معرفتها (إخوان الصفا، ج ، 1، 1957ص ، 258 إلى 275 .) فرأوا بأنها تنحصر في تسعة أجوبة، لتسعة أسئلة يقولون: " وأعلم بأن السؤالات الفلسفية تسعة أنواع مثل تسعة أحاد أولها . هل هو ؟ و الثاني ما هو ؟ و الثالث كم هو ؟ والرابع كيف هو ؟ والخامس أين شيء هو ؟ والسادس أين هو ؟ و السابع متى هو ؟ والثامن لم هو ؟ و التاسع من هو ؟ و ذهبو ا إلى تفسير هذه الأسئلة على النحو الآتي :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* السؤال الأول: هل هو ؟ يبحث عن وجود شيء أو عدمه و الجواب نعم أم لا

* السؤال الثاني : ما هو ؟ يبحث عن حقيقة الشيء .

* السؤال الثالث: كم هو يبحث في مقدار الشيء.

* السؤال الرابع: كيف هو ؟ يبحث عن صفة الشيء .

* السؤال الخامس: أي شيء هو ؟ يبحث عن واحد من الجملة أوعن بعض من الكل.

* السؤال السادس : أين هو ؟ يبحث عن مكان الشيء أو عن رتبته .

* السؤال السابع: متى هو ؟ يبحث عن زمان كون الشيء.

* السؤال الثامن: لم هو ؟ يبحث عن الشيء المعلول .

* السؤال التاسع: من هو ؟ يبحث في التعريف للشيء (إخوان الصفا ص ، 262 .)

إن هذه الأسئلة تتضمن علم منهج في البحث عن حقائق الأشياء من منطلق طبيعتها وغايتها ، و أن هذه الأسئلة في نظر إخوان الصفا التي تصنف الصنائع العلمية، ليست إلا بعض معطيات فن التعليم ، و فن التدقيق ، و فن التمحيص التي اهتدى العرب إليها قبل غيرهم من الأمم.

هذا وقد اهتدى العرب إلى تمحيص فكرة الزمن حتى على النحو العفوي ، بالوقوف عند العلاقة بين المكان والزمان، فارتبط التاريخ عندهم بالجغرافيا ارتباطا عضويا ،و نقف على هذه العلاقة عند الكثير من علماء التاريخ في مؤلفاتهم ، منهم البيروني ، والمسعودي ، والمقريزي و ياقوت الحموي ، والطبري ، وابن خلدون ، ويعتبر علماء العرب أنهم من الأوائل الذين ربطوا الجغرافيا بعلم الفلك، وسلكوا في هذا المنحى مسلكا إيجابيا ، فهذا البيروني في كتابه " الآثار الباقية في القرون الخالية " يرى بأن التاريخ يدرس من خلال الآثار التي تبقى في الأمكنة و"الرسوم" والنواميس ولا طريق إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التاريخ من جهة البرهنة بالمعقولات لأن " العلم اليقيني لا يحصل إلا في إحساسات يؤلف بينها العقل على نمط منطقي " وفي كتابه أيضا وهو " تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة " دلالات واضحة على منهجه العقلي في أبحاثه التاريخية.

الزمان و علم حساب التواريخ :

إن التاريخ أو الزمن بمعناه العادي الذي يتمثل في الساعات و الأيام و الشهور و الفصول مأخوذة عن أحداث الفلك و دوراته و حركاته وإن الوحدات الزمنية من الساعات والليل والنهار....الخ فوضعها كان خاضعا لما يظهر في الفلك من ظواهر طبيعية ، كشروق الشمس و غروبها و ظهور القمر والكواكب الأخرى و تواريها ، ويتم هذا وفق كم رياضي مقدر و محسوب فهناك حسابات تأخذ منها لمعرفة هذه الظواهر الطبيعية من حيث غيابها أو ظهورها ، واصطلح عليها فيما بعد . وتكون من هذه الاصطلاحات في عصرنا علم (حساب التواريخ) الذي يقوم بوظيفة تفسير وشرح التقاويم العديدة التي كانت تستعمل في أماكن مختلفة و في أزمان مختلفة وهذا ما يجعلنا منا وفي مقدورنا واستطاعتنا أن نحول التواريخ من تقويم إلى آخر.

هذا، وإذا كان معنى الزمن احتل مكانة في ذهن الإنسان بالمعنى الاجتماعي المتمثل في تقاويم عديدة من خلال ملاحظة الكواكب، و تغيير حركاتها ، كالشمس والقمر والظلال والأنوار وامتداداتها وتقلصاتها و تعاقب الأجرام السماوية ، وتوالي الفصول ، وما إلى ذلك من الحركات الطبيعية للظواهر التي تتكرر في الطبيعة بانتظام فإن هذا يضطلع بنا، أن نقول: أن مفهوم الزمان كان و لا يزال يختلف من مكان لآخر، من بلد لبلد، ومن مناخ إلى مناخ، لأن حركات الكواكب و صيرورتها تختلف ، والليل والنهار يقصر في فصل ويطول في فصل، وبالتالي من غير الممكن أن يكون أو يبقى مقياس زمني ثابت إلى حين يرتبط بالمكان .وهذا ما جعل بالمتأخرين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على إضافة الأوقات إلى الأمكنة معتمدين في ذلك إلى معايير قياسية مستنبطة من أنظمة حسابية دقيقة بينت أنه عندما تكون الساعة في مدينة غرينتش في الثانية عشر ليلا تنقص أو تزيد في البلدان الأخرى و في جميع أنحاء العالم .

وعليه ما مادمت ظاهرة الزمن أو الوقت تختلف باختلاف الأمكنة أو بقاع المعمورة في عرضها و طولها، وعمقها، وارتفاعها، فإن هذا يتطلب أمرا آخر يحدث بالنسبة للكائنات الحية سواء هي موجودة على الأرض أو على غيرها من الكواكب (عبد اللطيف شرارة ، الفكر التاريخي ، ص ، 46 وص،47.) .مع العلم أن الإسلام قد وضع قطيعة إبستمولوجية تفصل بين خطين من الزمنين خط يمثل الزمان الإلهي وخط يمثل الزمان الإنساني و يتجسد هذين الزمنين في أكثر من آية .

الزمان الإلهي :

لقد بين الله تعالى هذا الزمان في آيات عديدة مختلفة في المعنى، وفي المقصد قال الله تعالى: ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾(سورة الحج الآية 47) . فالكاف الذي ورد في الآية كحرف تشبيه فإنه في أصله المعرفي لا يفيد وضع مقياس رياضي ، وإنما وضع للبيان و الإيضاح بقصد تقريب الحقيقية التي هي من غير الممكن إدراكها حسيا وعقليا من طرف الإنسان و قول الله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة و الروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾(سورة المعارج الآية4)، وكذلك يقول الله تعالى : ﴿قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة و لا تستقدمون ﴾ (سورة سبأ الآية 30 .) إن هذه الآيات تدل على أن اليوم زمنا مقدرا يعلمه الله كما هو حادث في أيام خلق السموات والأرض، و أنها تعبر عن أحداث ووقائع وقعت، أو ستقع بمعنى زماني مطلق، وأن الفعل الإلهي واقع عليها لا محال . إلى جانب هذه الآيات، هناك آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم تنص عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزمان الإلهي مثل قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (سورة هود الآية 7)

الزمان الإنساني و التاريخ :

الزمان الإنساني هو الزمان الذي يرتبط بوعي الإنسان وذاكرته وشعوره وتاريخه، ومقدار حظه من المعرفة والعلم وقدرته على التذكر واستيعاب الحوادث والوقائع واسترجاع الذكريات، دلالة على قدرته لتمثل الزمن في معطاه النفسي والإنساني بوجه عام، وقد نجد كثير من الآيات القرآنية تدل على هذا الزمن الإنساني ففي سورة أهل الكهف تصور لنا ظاهرة الزمن الإنساني في أبعاده المطلقة والنسبية تصويرا علميا دقيقا بمقادير حسابية معلومة يستنبطها الإنسان بذاكرته بعد استيعابه لها و هي تجربة فريدة من نوعها في التاريخ الإنساني ككل . يقول الله تعالى﴿و كذالك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم" *كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم....*﴾ (سورة الكهف الآية 19) الحقيقة أنهم ﴿ لبثوا في كهفهم ثلاثة مائة سنيين وازدادوا تسعا"﴾ (الكهف الآية ، 25) و قد عبر بن سينا في كتابه النجاة عن الزمان فقال : " لا يتصور الزمان إلا مع الحركة و متى لم يحس بحركة لم يحس بزمان مثل ما قيل في قصة أصحاب الكهف " (ابن سينا ، النجاة ص ، 115) وقد نجد الفيلسوف الرازي يعبر عن هذا الزمان الإنساني بقوله : " إني قد سألت مثل هؤلاء الناس و قالوا لي إن عقولنا تدلنا على أنه يوجد خارج هذا العالم امتداد يحيط بالعالم ، ونعرف أنه لو ارتفع الفلك و لم يوجد دورانه كان شيء يمر بنا دائما هو الزمان " (الرازي ، رسائل فلسفية ، ص ، 264.)

هذه المعطيات المعرفية الثلاثة التي ذكرناها و هي باختصار

- ترابط المكان بالزمان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- تنوع مفهوم الزمان بتنوع مفهوم الوجود الحي.
- علاقة الزمن الإنساني بالنفس البشرية و حالاتها.(عبد اللطيف شرارة، الفكر التاريخي، ص، 48.)

إن هذه المعطيات هي التي كانت الأرضية الفكرية و العلمية التي قام عليها الفكر الإسلامي عامة، ولكنها لم تتضح لجميع العقول ولا وعاها المفكرون والمؤرخون بدقة، و لم تكن في متناول الجميع أيضا. فقد لا نعثر على مفكر أو مؤرخ أو عالم من تناول هذه المسألة ما عدا المفكر اللغوي والعالم الرياضي وهو أحمد المرزوقي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة والنصف الأول من القرن الخامس.(يقال أنه توفى حوالي سنة421هـ) ألف كتاب بعنوان " **الأزمنة و الأمكنة** " و الهدف العام من وراء هذا الكتاب هو تفسير و تعليل الدلالات أو الألفاظ التي تنطوي على معاني المكان والزمان والتي وردت في القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة مبينا معانيها الظاهرة و الباطنة.

وقد أدى البحث اللغوي بهذا العالم أن يغوص قي أعماق دلالات اللغة و يكشف كنه سرها واقفا على معانيها المطلقة و النسبية منها إلى بيان العلاقة بين الزمان (محمد بن الحسن المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ، ج،1و ،ج،2 الباب الثاني ص ، 124إلى 126) و المكان من دون أن يجعل منهما شيئا واحدا فكتب يقول: " و ذكر قطعة واسعة من الأزمنة تأنيسا بأسمائها ، إلى أن نتمكن من شرح جملها و تفاصيلها و أتي على حقها و قيقتها و درس في أثناءها الكثير من مبهمات الأمكنة لأنها هي التي تكون ظروف دون محدداتها " (المرزوقي ، ج، 1 ، ص ، 124 .)

إن هذا الموقف العلمي الذي أتى به المرزوقي قد سبق به علماء العصر الحديث من الأوروبيين أبرزهم "ألبرت أينشتاين" و و أن المكان لا يعقل إلا في إطار الزمان حجته " أن الأمكنة هي التي تكون ظروفا دون محدوداتها "(فرنسواز باليبار ، ص ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

117) وقد وضع الباحث اللغوي المرزوقي معاني تحملها بعض الكلمات العربية ذات الأوصاف الخاصة بالزمن و لمكان وراح يتفنن في ضبط كنه أغوارها ، مثل البارحة فيقول : " الليلة بليلتك التي أنت فيها ، و لبارحة ليلة يومك الذي أنت فيه ، و د مضت و هي من : " برحت " أي انقضت ، ما برحت أفعل كذا و أصله البراح من المكان " (المرزوقي ،ج ، 1، ص ، 127، ص ، 128 ,) و لحال كذلك لعدد كبير من الألفاظ أو الدلالات مثل الميقات ، المدى ، المسافة ، البرهة ، اللحظة، الخ ....

يرى المرزوقي أنه يحدث اختلاف الزمن باختلاف حالة النفس وكانها من الوجود ، وهو الرأي نفسه الذي نجده عند رجال أهل التفسير ملتزما في ذلك المبدأ الديني الشائع الذي ينص عن الحيطة من الوقوع في الزلل والخطأ، و لمتمثل في عبارة " أعلم " فيقول في بيان حالة الإنسان ووضعه في الجنة ، و الة الإنسان ووضعه في الدنيا ، عند استعمال الكلمات الدالة عن الزمن و أما قوله تعالى : ﴿ و لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ (سورة مريم الآية 62) . فإن هذا نكرة ، وليس يريد كل بكرة و كل عشية . وإنما تأويله أعلم كما يقول المرزوقي: " فجميع ذلك أجري لأوقات مؤقتة لمعاني قدرها الله تعالى على أحوال ورتبها مراتب صورها ، فمنها ما هو أطول ومنها ما هو أقصر على حسب آماد الأمور المقدورة فيها فمثلا كلا بما تقرر به النفوس غايته وأمده ومقداره وموقعه ، مما كنا نعرفه ونألفه ونشاهده ونتصرف فيه، وإذا كان الأمر على ما ذكرنا وحصل من الحكيم التوقيت على ما بينا ظهر كثير من عادتهم فيه وأنهم تخيروا ما كان في الاستعمال أبين، وفي العرف أمتن وعلى المراد أدل وفي التنبيه أنبه وأجل " (المرزوقي ، ج ، 1، ص، 128)

إذن أن الجنة لا ليل فيها يفضي إلى نهار و لا نهار يتصل بليل ولا شمس ولا قمر إنما هو في مثل مقادير العادة في الدنيا (المرزوقي ، ج ،1، ص ، 128)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر في موقع آخر من الكتاب نفسه الآية ﴿ و لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ بغرض إيضاحها والتعليق عليها من حيث ربط المكان بالزمان ربطا واقعيا وميتافيزيقيا وفي صورة نفسية معنوية ومادية أيضا فيقول:"يريد على ما اعتادوا في الدنيا ،والبكرة، ما اتصل بما قبله من الليل ، والعشي، ما يتصل به الليل ولا ليل في الجنة ولكن على ما ألفوا في الدنيا وتعودوه من الأوقات " (المرزوقي، ج ، 1، ص، 143)

والبرهان العلمي المعتمد عندنا اليوم في التسليم بالحقيقة السابقة وهي اختلاف الزمان كليا باختلاف حالة النفس يمثله زمن الأحلام (فرويد ، الهذيان والأحلام في الفن) لأن الإنسان في حالة الحلم ، والنوم عامة يعيش زمنا يختلف جذريا عن الزمن الذي يعيشه وهو في حالة اليقظة و ويختلف أيضا في حالة الإغماء و الانفعال الشديد سواء في حالة الإيجابية أو السلبية .فمثلا أن الحلم أو المنام الذي يصاحب الإنسان في حالة النوم يحمل معه صورا و أحداثا و وقائع و كلام طويل تتعقبه فترات زمنية قد تقاس بالسنيين ، لكن بعد اليقظة مباشرة يشعر الإنسان بخيبته، وذلك لعدم قدرته على سرد كل الأحداث والكلام و الوقائع التي حدثت له في هذا الحلم و حتى على تسجيلها و يدل هذا أن الزمن النفسي الواعي وغير الواعي عند الإنسان بالخصوص لا يمكن أن يقاس قياسا كميا بل يخضع لكيفية أو ديمومة مستمرة خالصة ينتهي هذا الزمان الإنساني النفسي عند الزمان الإلهي .ومن غير الممكن تعقل هذا الزمان " معرفته" إذا لم تكن ذاتنا تحمله أي لا بد من مكان، فالمكان هو الصورة الفعلية لحمل هذا الحدث الكمي الذي دلالاته متنوعة ، كقولنا التوقيت ، الحال ، الوضع ، الزمان الليل النهار ....الخ، ولذلك نجد القشيري قال: " الوقت ما أنت فيه ، إن كنت بالدنيا ،فوقتك الدنيا وإن كنت بالعقبى ، فوقتك العقبى، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور ، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن إن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان " ومعنى هذا أن إدراكنا للزمن يعتمد على مسألة التزامن أو الآنية

هذا ونجد الإمام فخر الدين الرازي(1149م-1209 م) الذي جاء بعد المرزوقي بحوالي قرنين من الزمان يستدل على فكرة الترابط بين المكان و الزمان حيث ذكر هذا الاستدلال في تفسيره الشهير (مفاتيح الغيب) عند شرحه للآيـــة ﴿ يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا ﴾ سورة الطور الآية8 والآية 9) فيقول الإمام الرازي " فإن الفعل لا يضاف إليه شيء غير الزمان فيقال يوم يخرج فلان وحين يدخل فلان ... والسبب في ذلك فنقول: الزمان ظرف الأفعال كما أن المكان ظرف الأعيان وكما أن جوهرا من الجواهر لا يوجد إلا في مكان فكذلك عرض من الأعراض لا يتجدد إلا في زمان و فيهما تحير خلق عظيم فقالوا :إن كان المكان جوهرا فله مكان آخر ويتسلسل الأمر ، وإن كان عرضا فالعرض لا بد له من جوهر ، والجوهر لا بد له من مكان فيدور الأمر أو يتسلسل وإن لم يكن جوهرا ولا عرضا فالجوهر يكون حاملا فيما لا وجود له أو فيما لا إشارة إليه ، وليس كذلك ، وقالوا في الزمان إن كان الزمان غير متجدد فيكون كالأمور المستمرة فلا يثبت فيه المضي و الاستقبال و إن كان متجددا وكل متجدد فهو في زمان فللزمان زمان آخر ، فيتسلسل الأمر ثم إن الفلاسفة التزموا التسلسل في الأزمنة و وقعوا بسبب هذا في القول بقدم العالم و لم يلتزموا التسلسل في الأمكنة و فرقوا بينهما من غير فارق (الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ، 27-28- ، ص ، 249) هذا، وأن الرازي له إطلاع واسع في علم الكلام وعلم الفقه والرياضيات و علم الطب وعلم التفسير وذلك من خلال الكتب التي ألفها في هذه العلوم فتدل على أن الرجل عالم بالعلم الإنساني والشرعي و فقيه في كليهما و قد ساعدته هذه العلوم وخاصة الرياضيات على إدراك العلاقة بين المكان و الزمان ، كما أن دراسته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للتاريخ الإسلامي ارتبطت بمقولة المكان والزمان وتأمله وفهمه لقرآن الكريم أيضا جسده ضمن هاتين المقولتين وخاصة في تفسيره لكثير من الآي الكريم كحقائق علمية كمية (الرازي ، التفسير الكبير)

هذا،ونجد في التاريخ الإسلامي المجيد اهتمام علماء الإسلام، وخاصة علماء علم الحديث، حيث ظهرت لدى البعض منهم نزعة علمية تشدد في بيان الحق الخالص للنص الديني. " الحديث الشريف " ومتجاوزة في ذلك كل شائبة، وكل هوى، أو غرض شخصي، أو عصبية قبلية كانت سببا في تلفيق الأخبار و وضع الأحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنهض المخلصون، لتدارك هذا الخطر، وكان بإيمانهم للحق الخالص، والموضوعية العلمية، أن يلتزموا مقولتي الزمان والمكان في تصحيح الحديث، ووضعه، مما جعل من هاتين المقولتين خطوة أساسية في بناء الحديث و منهجه. وقد لخص هذا الموقف العلمي الأستاذ قدري حافظ في كتابه " العلوم عند العرب " ،بقوله : "و قد ثبت أن المسلك الذي اتبعه العرب في تنقية الحديث و تمييز صحيحه من موضوعه قد أثر إلى حد في أساليب العلماء إذ أبان لهم إتباع الطرق التي تؤدي إلى الحق ، كما أوضح لهم منهجا دقيقا للسير بموجبه للوصول إلى الحقيقة و إلى الصحيح من الوقائع والأخبار و الأقوال ، و كذلك كان للأساليب التي اتبعها علماء الأحاديث فضل كبير على التاريخ وأصبحت القواعد التي ساروا عليها في تحري الحقيقة هي المعول عليها لدى المؤرخين المعاصرين و محل تقديرهم و إعجابهم "(قدري حافظ طوقان ، 1983، ص، 87)

إذن: فعلماء الحديث اعتمدوا التاريخ في تحقيق النصوص، و إخراج ما ظهر منها وما بطن، والوقوف على صحة الحديث. إذ الأدوات المعرفية و المنهجية المعتمدة في التاريخ، طبقت في دراسة الحديث. وقد نجد في تاريخ الفكر الفلسفي الأوروبي، الفيلسوف لويس ماسينيون ت 1962يعالج المسألة، في مقال ترجمه الأستاذ شعبان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بركات، وهو الزمان في الفكر الإسلامي فيقول : "عودتنا الرياضيات منذ عهد كانط اعتبار الزمان صورة أولية من صور الحدس فهو بهذا إلى جانب المكان ذي الأبعاد الثلاثة ، البعد الرابع للعالم لامتداده ..." ويذهب أيضا إلى القول : " أننا بالرغم من ذلك نحس بنوع من الانقباض في تفكيرنا كلما خيل إلى هذا التفكير أنه يدرك معنى الزمان ، كما أننا نشعر بأن "الممكن "أغنى مما هو كائن وأن عناصر المشكلة تحتوى على أكثر مما تحويه حلولها ،و أن البحث أكثر تعقيدا من الاختراع "مجلة الآداب ، العدد 8 أب 1953)"ويرى ماسينون أن الإسلام كفكر ديني يصبو نحو توحيد متعال إلى نظرة أخرى للزمان إذ ليس الزمان بالنسبة إليه شيء يجب إبداعه بل أن الزمان هو الذي يطلعنا على أمر الله وقضائه هذا ال"**كن**" الذي تصدر عنه أفعالنا التي سوف نحاسب عليها " ليس الزمان إذا في نظر الفقيه المسلم (دهرا) دائما مستمرا بل هو مجموعة من الأوقات (اللحظات) كما أن المكان مجموعة من النقط ..."(مجلة الآداب ، العدد 8 أب1953م) ويؤكد "ماسينون" أن " اللاهوتي المسلم لا يعتبر الزمن دواما ممتدا متواصلا بل يعتبره كوكبة من النجوم أو (مجرة) من اللحظات "

و عتمد ماسينون في تعميم أطروحته على حجج مستمدة من القرآن، و النحو العربي، وعلم الكلام، والطقوس الدينية، ومن الصوفية، والموسيقى، وغيرها من نشاطات و مجالات الحياة الإسلامية. لكنه أخفق في تقرير الحقيقة، لأنه لم يقرأ هذه المصادر، قراءة واعية باطنية،ولم يعتمد على شروحها ، وشرح شرح شروحها، بقدر ما أخلص فيها إلى استنتاجاته الشخصية، واتبع الشائع فيها من الآراء حول أمر الله و قضائه، من غير تمحيص و لم ينظر، ويعتبر أن الإسلام، كفكر ديني يضع حدا فاصلا، وواضحا بين الزمن الإنساني، والزمن الإلهي، وأن قضاء الله و أمره، و قدرته، و قوته تتعلق بالزمن الإلهي، وأن الإنسان في الإسلام يحاسب عن أعماله، لا عما يخرج بطبيعته عن دائرة علمه، و طاقته. (محمود آمين العالم ، 1984 ، ص ، 52

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى ص 58) وليس صحيحا في نظر الفقيه المسلم بأن الزمان هو مجموعة من الأوقات فحسب، وكذلك أن المكان مجموعة من النقط، حيث يوجد ما يدحض هذا الطرح رأي صائب يمثله كلام العلماء كالمرزوقي و الرازي الذين استندوا في آرائهم إلى القرآن، والأحاديث النبوية، فالمرزوقي بين أن الأزمان أوسع من الأمكنة لأن الأحداث انقسمت بانقسامها فهي تتضمنها دون الأشياء والأشخاص، و يستند في إثبات صحة رأيه ما يقول سيبويه " المكان أشبه بالأناسي فله صور تثبت عليها وحدود تنتهي إليها و تتباين بها " و قد نجد كاتب آخر من الناقمين على الإسلام وغير ملم بجوهر كنوز الإسلام العلمية والمعرفية وهذا ما جعله يقع في خندق الضلال ودائرة الخطأ وهو الباحث الفرنسي جول كوريان Gull Curien في بحث له بعنوان " الأخلاق في السياسية " فذكر أن الزمان انحطاط محض يحتقره الإسلام كيلا يسعى إلى وراء كمال بدائي" الفكر الإسلامي يجهل الأمد المستمر و لا يواجه سوى ذرات الزمان سوى اللحظات الأنات "(عبد اللطيف شرارة ، 53)

والقول الموضوعي يجعلنا نقول: لمن أراد أن يدرس الإسلام ويتحدث عنه يجب معرفته من منطلق الموضوعية العلمية، فالإسلام لا يحتقر الزمان ، ولا يعتبره محض انحطاط فهو ينظر إليه بعد تميزه بين الزمن الإلهي، والزمن الإنساني، أنه سلسلة مترابطة الحلقات، وكل حلقة تتضمن على عبرة

وحقيقة دائمتين، والحلقة الأخيرة هي جمع القيم كلها. و العقل العربي يحمل هذا المفهوم للزمن ويميل إلى زمن حاضره لفهم وتبصر وتحسين أحوال المستقبل أو المصير، وهذا الموقف الزمني عند العربي لا يشير إلى احتقار بقدر ما يشير إلى منطق الواقع وما يفرضه هذا المنطق من تحرر في الحاضر و اقبال على العمل دون اجترار الماضي، والغوص في أعماقه، وأيضا أن النقطة الفاصلة في هذا المقام البياني أن الزمن الإنساني، ليس شيئا يذكر إلى جانب الزمن الإلهي في الإسلام. ويكفي أن نعقد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقارنة بين يوم واحد، وألف سنة مما نعد. أو خمسين ألف سنة، لتجد عظم الفرق وضخامته بين الزمنين. إذ يصبح اليوم الإنساني أقل بكثير من اللحظة، ولا يمكن قياس ضالته. (عبد اللطيف شرارة ،ص، 53)

وفي الأخير: إن الزمان و المكان يمثلان بالنسبة لعلم التاريخ صلب موضوعه فبهما يقوم ،و يقيم، المؤرخ الحدث التاريخي من حيث صحته أو خطأه ويقف على الحدث ومدى ارتباطه بالفعلين الزماني والمكاني ، كما أن الحضارة الإنسانية مهما كان مستوى رقيها و كذلك وجودها فإننا نقف على فكرتي المكان والزمان في تبرير مستوى هذا الرقي والوجود معا .

هذا وإذا تطرقنا إلى الخطاب الإسلامي لمسألتي الزمان والمكان إنما نقصد من ورائه بيان أن فكرة الزمان والمكان، قد طرحت ضمن النصوص الدينية الظاهرة، وهذا لبيان علمية التاريخ وموضوعيته، ومن جهة أخرى بيان أن الإسلام يجعل من هاتين الفكرتين أسس العلم وبنائه وسر الوجود و فنائه، ونخلص إلى نتيجة مفادها أن هناك زمان إنساني ،وزمان إلهي، ولا يمكن الحديث عن الزمان، دون المكان، والعكس صحيح، لأنهما أطر المعرفة وأطر الوجود.

المصادر والمراجع :

– القرآن الكريم

1- **إبراهيم العاتي (1993)، الزمان في الفكر الإسلامي، دار المنتخب العربي، بيروت لبنان.**
2- **أبي العلاء المعري (1980)، رسالة الغفران،دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان.**
3- **أبي العلا المعري(من دون سنة) ، لزوم ما لا يلزم ، اللزوميات ، المجلد الأول ، والثاني ، دار بيروت للطباعة والنشر . لبنان.**
4- **أبي بكر محمد بن زكرياء الرازي (1993)، رسائل فلسفية ، الجزء الأول ، تحقيق، بول كراوس ، مطبعة بول باريبه ، مصر .**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- ابن سينا (1938)، النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، نشرخ محي الدين صبري الكردي، على نفقته، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، مصر.
6- الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب السخاوي (1349هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، مطبعة الترقي ، دمشق،.
7- إخوان الصفا (1957)، رسائل إخوان الصفا، المجلد الأول، طبعة دار صادر، ودار بيروت، لبنان.
8- عبد اللطيف شرارة، (1983)، الفكر التاريخي في الإسلام، دار الأندلس، بيروت، لبنان.
9- أبي علي احمد بن محمد الحسن المرزوقي (2002) الأزمنة والأمكنة ، ج ، & حققه وعلق عليه الدكتور محمد نايف الدليمي، دار عالم الكتب ، بيروت لبنان.
10- فرنسواز بليار (1993)، آينشتين يقرأ غاليلو ونيوتن ، المكان والنسبية ، ترجمه الدكتور سامي أدهم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان.
11- فخر الدين الرازي (من دون سنة)، التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، الجزء السابع والعشرون ، 27، دار إحياء التراث العربي الطبعة الثالثة ، بيروت ،لبنان.
12- قدري حافظ طوقان (1983)، العلوم عند العرب، دار اقرأ، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.
13- لويس ما سينون (1953)،الزمان في الفكر الفلسفي الإسلامي ، ترجمة شعبان بركات ، مجلة الآداب عدد (08) السنة الأولى ، بيروت لبنان .
14- محمود آمين العالم (1984)، مفهوم الزمان في الفكر العربي الإسلامي ، ترجمة المنجي عبيدة ، ضمن مجلة الحياة الثقافية ، عدد 34، وزارة الشؤون الثقافية ، القصبة ، تونس .
15- سيغموند فرويد،(1978) الهذيان ولأحلام في الفن، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر الطبعة الثانية بيروت، لبنان.

***

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com